الأحد: 2024/04/14

2024/04/21

التوقيت: 11:20 – 12:50

القاعة: 33 في الكلية

المحاضرة رقم 05: تطور فنون النثر:

– قراءة في النوع السردي:

أ– بنية الرواية (الجزء الثاني)

من أشكال البنى المستخدمة التي نصادفها في الرواية (الناضجة) بعد الإنجاز هي:

1– رواية يعتمد بناء شكلها على استمرارية الزمن – الرواية التقليدية:

يعتمد بناء الرواية هذه على بنية زمنية مستمرة، انطلاقا من نقطة زمنية محددة ومنها تنطلق الى المستقبل دون تعرجات زمنية، أو توقفات للإحالة الى الماضي، أي ذات زمن مستمر، كرونولوجي، حيث يسير الزمن على خط مستقيم، مثل رواية:

ثلاثية نجيب محفوظ (بين القصرين، قصر الشوق، السكرية)، و"الأيام" لطه حسين، وروايات "عودة الروح"، و "يوميات نائب في الأرياف "لتوفيق الحكيم، وروايات جرجي زيدان التاريخية، وفي رواية "صعود النسغ" لهشام توفيق الركابي مثلا.

2– رواية تبنى على تذبذب الزمن بين الماضي والحاضر والمستقبل:

كرواية "كتاب التجليات " لجمال الغيطاني مثالا استخدمت شكل البنية التي تعتمد على تذبذب الزمن بين الحاضر والماضي والمستقبل، مع تغير في السبقية، ورواية عبد الرحمن مجيد الربيعي "خطوط الطول.. خطوط العرض".

3– الرواية المبنية على غرار حكايات الف ليلة وليلة:

إن استلهام التراث الحكائي العربي كان هاجس الكثير من كتاب الرواية، ابتداء من المويلحي، وانتهاء بآخر روائي له منجز روائي منشور ، مرورا بأسماء روائية قديرة، فهناك روايات استلهمت الف ليلة وليلة وتشكلت من مجموعة من الحكايات المتداخلة، حكاية وسط حكاية تضمها حكاية جامعة تسمى حكاية الإطار، مثل رواية الف ليلة وليلة، التي يعدها البعض من الدارسين رواية، فيما لا يعدها البعض مثل هذا.

لقد كتب على غرار الف ليلة وليلة، روايات كثيرة، كرواية "ليالي ألف ليلة" لنجيب محفوظ، وكذلك رواية "الزيني بركات" لجمال الغيطاني"، ورواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح، ورواية "الأنهار" لعبد الرحمن مجيد الربيعي، ورواية "عالم بلا خرائط" لجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف، ورواية "سابع أيام الخلق" لعبد الخالق الركابي، ورواية "تيمور الحزين" ورواية "الحلم العظيم" لحمد خلف، ورواية "ليس ثمة أمل لجلجامش" لخضير عبد الأمير، وغيرها من الروايات، حيث بنيت على شكل حكايات ألف ليلة وليلة، وقريبا منها، تنطلق رواية "الأنهار" للربيعي، كمثال على ذلك، من حكاية إطارية هي حكاية / أسطورة "جلجامش"، ويضم كل فصل من فصول الرواية قسم منها، كما نرى ذلك في ألف ليلة وليلة حيث تتولد من الرواية الإطارية "الحكاية الاطارية" روايات / حكايات أخرى.

4- الرواية المبنية على غرار السيرة الشعبية:

تقاربت بعض الروايات العربية مع الشكل الفني العام للسيرة الشعبية العربية، مثل رواية "ملحمة الحرافيش" لنجيب محفوظ، ورواية مجيد طوبيا "تغريبة بني حتحوت إلى بلاد الجنوب" ، حيث بنيت على تقنية تشبه إلى حد ما السيرة الشعبية التي كتبت عبر تاريخنا الأدبي العربي، مثل " سيرة ذات الهمة."

وكما في سيرة " ذات الهمة " مثلا، نجد ان "ملحمة الحرافيش" تحكي الصراع الأزليّ بين الخير والشر، في عشر حكايات لأجيال عائلة بالتعاقب، سكنت حارة غير محددة الزمان ولا المكان بدقة، حيث تمثل صراع الأجيال البشرية في كل زمان ومكان.

تمتاز السيرة الشعبية بضخامة متنها الحكائي، حيث ينقسم إلى أجزاء معنونة تتحدث عن مرحلة من مراحل حياة البطل، وتحوي موتيفة الرحيل عن المكان والذهاب إلى مكان آخر، والدخول مع الأعداء في صراع، ليعود في النهاية ظافراً إلى مكانه.

وتتميز السيرة كذلك بتعدد الشخوص، واتساع الزمان والمكان فيها، حيث يقتضي انتقال البطل من مكان إلى آخر، سعياً وراء إنجاز المهمة المكلف بها، اتساع رقعة الأحداث، كما أن السيرة تقدم حياة البطل من الولادة إلى الوفاة، ونجد ذلك في رواية نجيب محفوظ "ملحمة الحرافيش"، حيث تتشابه والشكل العام للسيرة، من حيث ضخامة متنها، وتعدد وتنوع أمكنتها، وامتداد زمانها، وكثرة شخوصها، وتقسيمها

إلى عدد من أقسام معنونة، وكذلك في رواية مجيد طوبيا " تغريبة بني حتحوت إلى بلاد الجنوب"، ولا تخلوا مثل هذه الروايات كما السير الشعبية العربية من الأشعار كذلك.

5- الرواية المبنية على غرار المقامة:

المقامة فن حكائي عربي قديم، ومن أوضح الامثلة للتأثر بفن المقامة هو (رواية) "حديث عيسي بن هشام" للمويلحي، وكذلك "مجمع البحرين" لناصيف اليازجي، ورواية "علم الدين" لعلي مبارك، إذ يتصل بطلها بشخصيات متعددة، وقد كتبت هذه الروايات متأثرة بالروايات الأجنبية من حيث تنوع مناظرها، وتسلسل الحكاية فيها، وبعض ملامح التحليل النفسي للشخصية.

6- الرواية المبنية على غرار الرحلة:

استلهم الروائي العربي الحديث هذه البنية، من كتاب "رحلة ابن بطوطة"، كالروائي نجيب محفوظ في روايته "رحلة ابن فطوطة " مثلا. تعتمد رواية محفوظ على الرحلة، ويستلهم شكل كتاب ابن بطوطة الذي كتبه عن رحلته، مبتعدة عن أن تكون رواية رحلة فقط (إخبار عن تفاصيل رحلة)، إذ جعلها محفوظ رحلة غير تقليدية، وقد اهتم بالحوار الذي ينشأ مع الحضارات التي يدخل في كنفها البطل، وليس نقل ما يشاهده من أمور غريبة ومدهشة، أنه مهتم بنقد الواقع الذي يعيشه.

7- الرواية التي تبنى على نوع موسيقي:

تبنى بعض الروايات على قالب موسيقي معروف مثل قالب السيمفونية، أو على قالب الكونشرتو، كرواية "المصائر" للروائي الفلسطيني ربعي المدهون التي فازت بالبوكر لعام 2016 ، التي بنيت على قالب الكونشرتو، حيث تتكون من أربع حركات، كل حركة تمثل حكاية تتضمن بطلين، ثم يتحولان في الحركة الثانية الى شخصيتين ثانويتين ليدخلا بطلين رئيسين جديدين وهكذا.

8- الرواية المبنية اعتمادا على تعدد الأصوات:

هناك روايات تبنى على حكاية واحدة يحكيها عدة أشخاص كل من وجهة نظره، تسمى رواية بوليفونية، تتعدد فيها الأصوات، وهذا يعطي المجال لأكثر من كاتب ضمني لرواية حدث ما، ومثال على ذلك رواية "خمسة أصوات" لغائب طعمة فرمان، ورواية "ميرامار" لنجيب محفوظ، ورواية "متاهةُ أخيرهم"

لمحمد الأحمد، حيث المؤلفين عديدين يقومون بتأليف الرواية ذاتها، إذ كل شخص يروي الحادثة من منظوره هو، ووجهة نظره، وكل مؤلف من هؤلاء يمكننا ان نجد فكره واعتقاده مجسدا فيما يؤلف ويكتب، أي أيدولوجيته ماثلة وراء ما يقول ويصوغ من أفكار.

إن إيديولوجية الكاتب الأصلي لهذه الرواية أو تلك تنمحي كليا عن الواجهة، إذ هي تتوزع بين أصوات وأفعال وممارسات مؤلفي الرواية، أي شخوصها، أو أصواتهم، وهذا الأمر تشترك فيه روايات ذات صوت واحد، إلا أنها تختلف من حيث أنها تمتلك صوتا واحدا أي أنها ذات أيديولوجيا واحدة، أفكارا وعقيدة، إنها أفكار وعقائد المؤلف الأصلي ذاته، على الرغم من ابتعاده عن الشخصية هذه أو تلك.

إن خاصية أن تكتب الرواية من عدة شخوص، أصوات شخوصها المتعددين، تجعل الكاتب الأصلي، مؤلف الرواية وكاتبها على الورق، حذرا جدا كي لا يقع في المحذور ويصبح هو الطاغي على أصوات الرواية من الأول إلى الأخير، إنه الوعي التام بما يفعل الكاتب، ووعي الشخوص بما تقدم، أي يكون وعيا مغايرا لوعي الكاتب، وبهذا تمحى من الذاكرة الصورة التقليدية للبطل في الرواية كما عهدناه في الرواية التقليدية، أي الرواية غير البوليفونية، ذات الشخصية المحورية الواحدة، أو الصوت الواحد، مثل البطل في رواية" اللص والكلاب "لنجيب محفوظ، أو في رواية عبد الرحمن مجيد الربيعي "الوشم" أو في رواية "صعود النسغ" لهشام توفيق الركابي.

في مثل هذه الروايات يستقل الصوت، المؤلف الآخر للرواية، من كل شيء خارج إرادته بكل أبعاده، الفكرية، أو الاخلاقية، أو الوجودية، أو أي شيء، من إرادة الكاتب الأصلي، فيصبح عند ذاك إرادتين، صوتين، مؤلفين، إضافة للمؤلفين الآخرين، أي الأصوات الأخرى. إننا نبحث عن المؤلف الأصلي في مثل هذه الروايات ونسأل أنفسنا أين الكاتب، أو صوته، أو تأثيره حتى، إلا أننا لا نجده في الرواية وشخوصها إلا بما له علاقة بما يجمع تلك الأصوات فيما بينها، وهذا غير مرئي، وغير معروف.

9- الرواية المبنية اعتمادا على الرسائل:

مثل رواية "الرسائل المنسية" لذنون أيوب التي بنى قصة حب في الرواية على الرسائل إلى حد ما. إذ بعد أن هجر "عارف" أهله وبلده الى جهة مجهولة وترك لصديقه الراوي ظرفا يحوي على مجموعة من الرسائل معنون باسمه، يقول الراوي: (هاك كل ما ترك واحمد الله على أنه لم ينجب أطفالاً، ولعلك تجد في هذه الرسائل ما يفسر سلوكه الغامض، ولست ألح في تقصي أخباره فغيابه خير من وجوده ولا

أظنك تخالفني). وكما فعل في روايته الأخرى "الدكتور إبراهيم" التي بناها على مجموعة رسائل تخص الدكتور.

10- الرواية المبنية اعتمادا على البنية البوليسية:

تعتمد بنية الرواية البوليسية على المطاردة، والتوتر، وتقطيع الحدث إلى أجزاء، وتطويره باطراد، والسرد المتسارع خاصة الذي ينضح منه توترا وتشويقا. وقد بنيت الكثير من الروايات العربية اعتمادا على هذه البنية، أو قريبا منها، كرواية "اللص والكلاب " لنجيب محفوظ.

إن أغلب كتاب الرواية يكتبون نصوصهم دون أن يحددوا شكل البنية قبل البدء في الكتابة، إنما هي تتحدد أثناء الكتابة ، ولا سيطرة للروائي على ذلك، لذا نجد أن أغلب النصوص الروائية هي تجميع لأكثر من شكل للبنية، مثلما يجمع الذئب (أو الأسد) من هضم لحوم خراف عديدة، كما يقول بول فاليري، وهذه ميزة تحسب للروائي لا عليه، إذ أنه لا يتدخل فيما يطرحه النص من أفكار وأقوال وأحداث وفي أي قالب ما تصب.

وفي ختام هذه السطور علينا التأكيد على مسألة مهمة هي أنه لا يمكن استعراض جميع أشكال البنى الروائية لكثرة الروايات المنشورة، من البنية التقليدية حتى رواية ما بعد الحداثة واستعمالها لبنى متنوعة وعديدة، إلا أننا ذكرنا أهم ما استخدم من بنى الروايات، وأيضا التأكيد على أنه لا توجد بنية واحدة وصافية لشكل واحد للرواية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى قيام الحرب الكبرى الثانية، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1994م.

2- جرجي زيدان، تاريخ الآداب اللغة العربية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1978م.

3- دود سليمان الشولي، الذئب والخراف المهضومة – دراسات في التناص الابداعي –، دار الشؤون الثقافية العامة، 2001.

4- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، ط3 ، 1976م.